بتاريخ 20 رجب 1446
المواسعة و المضايقة

الجلسة 59

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِين

استِكمال البُرهان تجاه إلقائات الشَّيطان

و استِتماماً للأبحاث السّالفة بأنّ الشّيطان أعجزَ من أن يُوسوِس في نفس المعصوم و يَتصرَّف في إرادته، لاحِظ المقالة المَتينة لمجمع البيان ـ حول شأن نزول الآية 52 من سورة الحجّ ـ قائلاً:

«روي عن ابن عباس و غيره أنّ النّبيّ ص لمّا تلا سورة و النجم و بلغ إلى قوله: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى» ألقى الشّيطان في تلاوته: «تلك الغَرانيق العُلى (جمعُ غُرنوق و هي الطّائرة الزَّرقاء أو البيضاء) و إنّ شفاعتَهنّ لَتُرجَى» فسَرَّ بذلك المشركون، فلمّا انتهى (النّبيّ) إلى (آية) السّجدة (في آخر السّورة) سَجد المسلمون و سجد أيضاً المشركون لمّا سمعوا من ذكر آلهتهم بما أعجَبهم. (و قد أجاب الشّيخ الطّبرسيّ قائلاً:) فهذا الخبر إن صحَّ محمول على أنّه كان يَتلو القرآن فلمّا بلغ إلى هذا الموضع و ذكر أسماء آلهتهم و قد علموا من عادته (ص) أنّه كان يَعيبُها (فقد) قال بعض الحاضرين من الكافرين تلك الغَرانيق العلى و ألقى (الكفّار) ذلك (الكلام الباطل) في تلاوته، توهُّمَ أنّ ذلك من القرآن فأضافه الله سبحانه إلى الشّيطان (أي ألقى الشّيطان) لأنّه إنّما حصل بإغوائه و وسوسته (للكفّار لا للنّبيّ) و هذا أورده المرتضى قدّس الله روحه في كتاب «التّنزيه» و هو قول النّاصر للحقّ من أئمّة الزّيديّة و هو وجه حسن في تأويله.»[1]

و تَحريراً أوسع في هذا المضمار، سنَستَعرض مقالة السّيّد المرتضى أيضاً قائلاً:

«و قيل (عن البكريّة) أيضاً: إنّه (ص) كان إذا تلا القرآن على قريش توقّف في فصول الآيات و أتى بكلام على سبيل الحِجاج لهم (الكفّار) فلمّا تلا «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى» قال (صلوات الله عليه و آله بلحن إنكاريّ قائلاً): تلك الغَرانيق العلى منها الشّفاعة تُرتَجى؟ على سبيل الإنكار عليهم و إنّ الأمر بخلاف ما ظنّوه من ذلك، و ليس يمتنع أن يكون هذا (كلام النّبيّ) في الصّلاة، (لأنّ الكلام البشريّ) كان مباحاً و إنّما نُسخ من بعدُ، و قيل إن المراد بالغرانيق الملائكة و قد جاء مثل ذلك في بعض الحديث فتوهمَّ المشركون أنّه يريد آلهتَهم»[2]

و لكن القول المزبور يُضادّ ظاهر الآية الماضية المصرِّحة «فيَنسَخ الله ما يُلقي الشّيطان» فهذه العبارة لا تُلائم التّوجيه المذكور حول «إنكار النّبيّ عليهم».

و في هذا الميدان أيضاً، قد استَغلّ «سَلمان الرُّشديّ» الزّنديق، الفُرصة حيث قد ألَّف كتاب «الآيات الشّيطانيّة» حيث قد خُدِع بروايات الفِرقة البكريّة كما قصصناه عليك.

مواجَهَة الفخر الرّازيّ للإلقاء الشّيطانيّ

و قد بَرِع الفخر الرّازي في حماية ساحة المعصوم عن الوسوسات الشّيطانيّة، ففسَّر هذه الآية بأسلوب حَكيم، ناكراً حجيّة تلك

الرّوايات المزوَّرة قائلاً:[3]

«هذا رواية عامّة المفسِّرين الظّاهريّين، أمّا أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرّواية (ابن عبّاس) باطلة موضوعة (فلم يُوسوَس النّبيّ أساساً) و احتَجُّوا عليه بالقرآن و السّنّة و المعقول:

· أمّا القرآن فوجوه:

Ø أحدها: قوله تعالى: «وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ* لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ».[4]

Ø و ثانيها: قوله: «قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَ».[5]

Ø و ثالثها: قوله: «وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى»[6] فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية تلك الغَرانيق العُلى لكان قد ظهر كذب اللّه تعالى في الحال (فكيف يَنطق النّبيّ بأكذوبة على الله) و ذلك لا يقوله مسلم.

Ø و رابعها: قوله تعالى: «وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَ إِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا»[7] و كلمة «كاد» عند بعضهم معناه «قرُبَ أن يكون الأمر كذلك» مع أنّه لم يحصُل (أبداً نظير قصّة يوسف حيث قال تعالى: لولا أن رأى برهان ربّه).

Ø و خامسها: قوله: «وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً»[8] و كلمة «لولا» تفيد انتفاء الشّيء لانتفاء غيره، فدلّ على أن ذلك الركون القليل (أيضاً) لم يحصل.

Ø و سادسها: قوله: «كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ».[9]

Ø و سابعها: قوله: «سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى».[10]

· و أما السنة:

Ø فهي ما روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا وضعٌ من الزنادقة و صنف فيه كتاباً.

Ø و قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقيّ: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم في أنَّ رُواة هذه القصة مطعون فيهم.

Ø و أيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي عليه السلام قرأ سورة النجم و سجد فيها المسلمون و المشركون و الإنس و الجن و ليس فيه حديث الغرانيق، و روي هذا الحديث من طرق كثيرة و ليس فيها البتّةَ حديثُ الغَرانيق.»[11]

و تَتميماً لهذه الآيات المحكَمات و رفضاً على وقوع تلك الوَسوسات ـتجاه المعصومـ فقد ذكر كتاب الاحتجاج رواية مُجدية جدّاً ضمن هذه النّقاشات، حيث قد نَقل عن أمير المؤمنين عليه السّلام قائلاً: [12]

«يعني أنّه: ما من نبيّ تمنَّى مفارقة ما يُعانيه (و يُؤذيه) من نفاق قومه و عقوقهم و الانتقال عنهم (أمّته) إلى دار الإقامة، إلاّ ألقَى الشّيطان المعرّض بعداوته عند فقده في الكتاب الذي أنزل عليه ذمّه و القدح فيه و الطعن عليه، فينسخ اللّه ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله، و لا تصغي إليه غير قلوب المنافقين و الجاهلين، و يُحكم اللّه آياته بأن يحمي أولياءه من الضلال و العدوان، و

مشايعة أهل الكفر و الطغيان، الذين لم يرض اللّه أن يجعلهم كالأنعام حتّى قال: «بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً»[13] فافهم هذا و اعلمه، و اعمل به، و اعلم أنّك ما قد تركت ممّا يجب عليك السّؤال عنه أكثر ممّا سألت عنه، و أنّي قد اقتصرت على تفسير يسير من كثير لعدم حمَلة العلم، و قلّة الراغبين في التماسه، و في دون ما بيّنت لك بَلاغٌ لذوي الألباب.

(فبالتّالي قد) قال السائل: حسبي ما سمعت يا أمير المؤمنين، شكر اللّه لك على استنقاذي من عماية الشرك و طخية[14] الإفك، و أجزل على ذلك مثوبتك إنّه على كلّ شيء قدير[15].»

فالمستَخلَص من كافّة هذه القرآئن و الوَثائق:

· أنّ سنّة الله تعالى قد استَدامَت في مراقَبة النّاس دوماً من إغوائات الشّيطان، علماً منه تعالى أنّهم سيُبتَلون بها بشدّة و لهذا قد هتَف تعالى مكمّلاً قائلاً: «لِيَجعَلَ مَا يُلقِي الشَّيطَانُ فِتنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَ القَاسِيَةِ قُلُوبِهِم وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ.».[16]

· و قد استَدللنا مسبقاً بمقدّمات الحِكمة المتوفّرة في الفِقرات التّالية: «آمنوا و لم يَلبسوا إيمانَهم بظلم» و «لهم الأمن و هم مهتدون» و «أولئک الذين هدى الله فبهداهم اقتَدِه» و «اجتبيناهم و هديناهم» فإنّها آيات محكَمات حتماً حيث إنّه تعالى ضمن مقام تِبيان التّوسعة و تبيين الأمن المطلق لهم عن السّهو و الخَطأ و الوسوسة حتّى الدّنيويّة أيضاً، فبالتّالي قد بَرهَنت على «العصمة المطلقة» بحيث قد افتَقد الشّيطان السّلطنةَ الوسواسيّة و الإغوائيّة و السّهويّة و... تجاهَ المعصوم تماماً.

· و قد أكّدنا كراراً أنّ حجيّة الرّوايات مرهونة على موافقة الكتاب أو مخالفته، و حيث إنّ الرّواية المزبورة ـالغَرانيقـ تُضادّ الآيات المنقولة، فبالتّالي ستُعدّ مُزوَّرة و مجعولة.

· و لهذا سنُفسِّر «التّمني» بمعنى «منتَهى التّقدير» و «المستَهدَف الأخير» و لهذا إنّ لفظة «الأمنيّة» هي حاصلة المصدر و نِتاج التّمني و التّقدير، فإنّ النّبيّ حينما كان يقرأ الآيات ففي الحقيقة كان يَتمنّى هدايتَهم و نجاتَهم، و لكنّ الشّيطان كان يَتلاعب في هذا الهدف النّهائيّ و التّقدير النّبويّ، لا في التّمني بمعنى إرادة المعصوم و آماله و أفكاره.

---

[1] مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، ص: 144

[2] تنزيه الأنبياء، ص: 109

[3] التفسير الكبير، ج23، ص: 237

[4] سورة الحاقّة، الآية 44-46.

[5] سورة يونس، الآية 15.

[6] سورة النّجم، الآية 3.

[7] سورة الإسراء، الآية 73.

[8] نفس السّورة، الآية 74.

[9] سورة الفرقان، الآية 32.

[10] سورة الأعلى، الآية 6.

[11] و قد ازدَهر لک أنّ رواية البكريّة هي مزوَّرة تماماً، فنِعمَ ما نقَلته يَنابيع الشّيعة في هذه الأجواء حيث قد رَوى إبراهيم بن هاشم القميّ قائلاً: وَ أَمَّا الْخَاصَّةُ فَإِنَّهُ رُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَصَابَهُ خَصَاصَةٌ فَجَاءَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ طَعَامٍ فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ ذَبَحَ لَهُ عَنَاقاً وَ شَوَاهُ فَلَمَّا أَدْنَاهُ مِنْهُ تَمَنَّى رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَكُونَ مَعَهُ عَلِيٌّ وَ فَاطِمَةُ

وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ ع فَجَاءَ مُنَافِقَانِ ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ بَعْدَهُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ» وَ لَا مُحَدَّثٍ «إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ» يَعْنِي فُلَاناً وَ فُلَاناً «فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ» يَعْنِي لَمَّا جَاءَ عَلِيٌّ ع بَعْدَهُمَا «ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ» يَعْنِي يَنْصُرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع ثُمَّ قَالَ: «لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً» يَعْنِي فُلَاناً وَ فُلَاناً «لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» إِلَى قَوْلِهِ «إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» يَعْنِي إِلَى الْإِمَامِ الْمُسْتَقِيمِ.» (تفسير القمي، ج2، ص: 86)

[12] طبرسى احمد بن على. 1424. الاحتجاج. Vol. 1. ص608 قم ـ ايران: سازمان اوقاف و امور خيريه، انتشارات اسوه.

[13] الفرقان ٤٤/٢٥.

[14] الطخياء: هي الليلة المظلمة. مجمع البحرين.

[15] رواه الصدوق قدس سره ـ في كتاب التوحيد، ص ٢٥٤، الباب ٣٦، الحديث ٥، مع اختلاف و زيادة ـ مسندا، حيث قال: حدثنا أحمد بن الحسن القطّان عن أحمد بن يحيى، عن بكر بن عبد اللّه بن حبيب، عن أحمد بن يعقوب بن مطر ـ و في بعض النسخ: عن مطر ـ عن محمد بن الحسن بن عبد العزيز الأحدب الجنديسابوري، قال: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدثنا طلحة بن يزيد عن عبيد اللّه بن عبيد، عن أبي معمّر السعداني: أنّ رجلا أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام... الحديث.
و نقله المجلسي رحمه اللّه في بحار الأنوار: ٩٨/٩٠ و ٣٢/٤ و ٢٥٧/١٨ و ٣١٠/٣ و ١٩٥/٢٤ و ١٧٤/٢٧ و ٢٦٤/٦٥ و ١٥١/٦٦ و ٢٣٥/٦٠ و ٣٦٤/١٨ و ٤٣/٨٩ و ٣٤٣/٦٦.

[16] سورة الحجّ الآية 53.